**المحاضرة الثانية**

**4-11-مدرسة الإتنوجرافيا الجديدة**

ظهور هذه المدرة متزامن مع المدرسة البنيوية، تشكلت على يد مجموعة من الإتنولوجيين الأمريكيين الذين قاموا بمحاولة لتأكيد عملية وموضوعية دراسة الثقافات الإنسانية، وذلك عن طريق تقديم وصف وتحليل الثقافة في إطار المفاهيم والتصورات التي لدى الأفراد ذاتهم وكما تتمثل في لغتهم. وبمعنى آخر فلكي تتحقق الموضوعية في الدراسات الإتنوجرافية لابد أن يحجم الباحث الأجنبي عن إقحام مفاهيمه واتجاهاته التحليلية وأن يترك ذلك لأصحاب تلك الثقافة أنفسهم، وقد عرف أصحاب هذا المنهج في دراسة الثقافة الإنسانية باسم "علماء دراسة الشعوب" وأصبح هدفهم الرئيس هو الكشف عن تصورات شعب معين لنمط الحياة داخل مجتمعهم، وإيضاح الأسس العقلية والأصول الثقافية التي يستندون إليها في تنظيم العلاقات الاجتماعية، ووضع قواعد السلوك، ونظم القيم[[1]](#footnote-2). وفي إطار هذا المنظور التحليلي، أوضحت عدة دراسات إتنولوجية كيف أن الشعوب تختلف فيما بينها من ناحية المعايير والأسس التي يصنف على أساسها الأفراد مفاهيمهم واتجاهاتهم بصدد التصنيفات المختلفة للأشياء كالألوان مثلا أو الطعام أو النبات أو الحيوان.

وعلى هذا الأساس فإن أتباع الإتنوجرافيا الجديدة يميلون إلى أن تتضمن دراستهم للثقافة وصف الثقافة وتحليلها كما يراها أفراد المجتمع، لا كما ينظر إليها أو يفسرها الباحث الإتنوجرافي ذاته، وقد ارتأوا أن تحليل لغة الأهالي هي أفضل السبل لتحقيق هذا الهدف. لهذا أبدى ممثلوا هذا التيار اهتماما كبيرا بدراسة وتحليل اللغة الوطنية لمجتمعات الدراسة. وذلك لاستخراج ما في مفرداتها من مفاهيم ومضامين وما قد تحتويه من قيم وأفكار وتصورات، لا يمكن معرفتها أو التوصل إليها عن طريق ملاحظة السلوك الظاهري لأفراد المجتمع.

وقد اهتم كذلك الإتنوجرافيون الجدد بالمعلومات التي يدلي بها الاخباريون، وإبراز السياقات والظروف التي أعطيت فيها تلك المعلومات. وفي هذا الإطار برز الاهتمام منذ بداية السبعينات وخلالها بتدوين خبرات الأنتروبولوجيين في العمل الحقلي، ونشرت عدة مؤلفات في هذا الصدد.

**المادية الثقافية**: هذا التيار ظهر في الولايات المتحدة على يد أحد الوارثين لفكر ستيوارد ألا وهو مارفين هاريس Marvin Harris )1927-2001( الذي يعتبر أحد أشهر وأكثرهم نقاشا بسبب خاصية التحول المنهجي والكاريكاتوري لمؤلفه.

هاريس هو أحد الباحثين النادرين الذين ادعوا تأثير الفكر الماركسي عليهم، التزم كليا بفكرة أولية البنيات التحتية الاقتصادية على البنيات الفوقية الأيديولوجية. على خلاف أسلافه المشهورين دفع هاريس المصادرة مع ذلك إلى حدودها القصوى جاهدا في البرهنة على أن كل نظام إنساني مهما كان، يقود في النهاية إلى آلية موجهة لإشباع حاجات ملازمة لجسم الإنسان.

كتابه الأكثر شهرة Cannibales et Monarques. Essai sur l'origine des cultures وهو مجموعة مقالات مخصصة للبرهنة على أنه في ضوء المادية الثقافية حتى الممارسات والمعتقدات الغريبة التي تبدو للوهلة الأولى غامضة تظهر في النهاية وبجلاء معقولة من وجهة النظر البيولوجية، الأمر إذن يتعلق بأخذ الظواهر التي تنم عن مفارقة لاسعة، ومحاولة حلها من خلال تحديث منطق تعظيم الميزات التي يفترض أنها كامنة، والتي توجد في العمل.

هكذا فإن نظام البقرة المقدسة التي يحرم أكلها في الهند مع أن هناك فترات من المجاعة يفسر بالفائدة العالمية لروث وحليب تلك الحيوانات التي تترك حية، ظواهر أخرى متنوعة مثل الأضحية لدى الأزتيك، قتل الفتيات الصغيرات عند شعب الياهومامي أو بالإضافة إلى تحريم لحم الخنزير في الشرق الأوسط. كل تلك الظواهر تفسر على أنها مبادئ بيئية في القيم الثقافية، وعادة ما تهدف إلى زيادة البروتين.

بالرغم من (أو ربما بسبب) خاصيتها التبسيطية فإن أفكار هاريس اكتسبت جمهورًا عريضا في الولايات المتحدة، الأيكولووجيا التخمينية التي استندت إليها بلغت مع ذلك مستوى من التجريد والعمومية إلى درجة أنها آلت إلى فقدان خاصيتها التفسيرية الجادة.

**3-4-2-السوسيوبيولوجيا:** مؤسس السوسيوبيولوجيا إدوارد ويلسون المتخصص في دراسة النمل Myrmécologue يتقاسم مع مارفين هاريس بعض التوجه نحو النفعية الراديكالية والمادية المدفوعة إلى أقصى الحدود. باحثو هذا التيار ينطلقون من مسلمة أن سلوك البشر يجب، مثله مثل سلوك الحيوانات، أن ينظر إليه من زاوية الانتخاب الطبيعي. لقد أولوا أهمية كبيرة إلى تأثير الظواهر الثقافية على انتقال الجينات، هذا (بدلا من الثقافة) ما يكون موضوع دراستهم.

على العكس من الأطروحات الداروينية التي بالنسبة لها الوحدة الوراثية للتكيف هي مجموعة الكائنات الحية مكونة تجمعا من أجل التكاثر. السوسيوبيولوجيا تتصور التكيف من وجهة نظر الفرد أو بالأخرى جيناته. يتعلق الأمر إذن بدراسة ما يمكن فردًا من تعظيم ميزته التكاثرية على حساب أمثاله، بدلا من الاهتمام بفائدة ما يمكن هذا السلوك أو ذاك من إضفائها إلى سلم التنافس بين أنواع أو بين جماعات.[[2]](#footnote-3)

1. - حسين فهيم، **قصة الأنثروبولوجيا**، مرجع سابق، ص-ص: 80-81. [↑](#footnote-ref-2)
2. -**Ibid.**, p. 123. [↑](#footnote-ref-3)